يرحل المفكرون.. ويظل فكرهم باقيا بيننا

بقلم:
الدكتور راشد نجم.

لقد فقدت مملكة البحرين برحيل المفكر العربي الكبير الدكتور محمد جابر الأنصاري اسما مضيئاً في عالم الثقافة العربية، فهو يعتبر واحداً من المفكرين العرب الذين حملوا مشروعا نقديًا للفكر العربي المتطلع إلى تجديد المشروع النهضوي العربي، وهو قامة ثقافية سامقة، ورمز مبدع في الحراك الأدبي والثقافي في البحرين كأحد المثقفين الذين أثروا هذا الحراك باهتماماته وكتاباته منذ الستينيات ومتابعته نتاج الأدب الجديد في ذلك الوقت والكتابة عنه في الصحافة المحلية لما كان يستشعره - رحمة الله عليه - من دور كبير للأدب في التنمية الثقافية في المجتمع.

كانت مقالاته التي ينشرها في جريدة الأضواء تهتم برصد التجربة الأدبية الشابة التي بدأت تلفت الأنظار اليها سواء في فضاء الشعر او السرد او المقالات الأدبية. ففي فترة منتصف الستينيات بدأت تبرز اتجاهات وتجارب جديدة في كتابة قصيدة الشعر الحديثة لغة وموضوعاً وصياغة تختلف في مضامينها وتوجهاتها عن قصائد الشعراء الرموز الذين كانوا يتسيدون الساحة الأدبية في ذلك الوقت، وكذلك في مجال كتابة القصة القصيرة.

أما على المستوى الشخصي فأنا أعرف الراحل العزيز الدكتور محمد جابر الأنصاري قبل بدايات تأسيس أسرة الأدباء والكتاب عام ١٩٦٩ حيث كان يسكن شمال مدينة المحرق «فريج الغاوي» وأنا أسكن «فريج المري»، فكلانا من هذه المدينة العريقة وأحياؤنا متقاربة.. كان شعلة من النشاط والحيوية والاهتمامات الأدبية.. وكنا نلتقي بين الفينة والأخرى حتى التقينا في منزله مع مجموعة من مؤسسي الأسرة منهم «علي عبدالله خليفة، قاسم حداد، أحمد المناعي، خليفة العريفي، محمد الماجد» للتباحث حول فكرة تأسيس كيان أدبي للأدباء الشباب الذين كنا نمثلهم في ذلك الوقت، فوجدنا المساندة والدعم الكبير من الدكتور محمد جابر الأنصاري الذي سعى لدى الجهات الرسمية عندما كان رئيساً للإعلام وعضواً في مجلس الدولة لتذليل صعوبات الحصول على الترخيص الرسمي، فتم اختياره كأول رئيس لأسرة الأدباء والكتاب حيث ساهم بأفكاره في رسم ملامح هذا الكيان الأدبي الجديد وتحديد توجهاته، فقد كان الوحيد بيننا في ذلك الوقت الحاصل على درجة الماجستير في الأدب الأندلسي عام ١٩٦٦ من الجامعة الأمريكية ببيروت، ويبشر ببروز ناقد بحريني في مجال الأدب يتسم بالكفاءة الأكاديمية والعلمية التي تفتح له آفاقاً من الدراسات والبحوث التي كان يحتاج إليها الحراك الأدبي الشاب والنشط في تلك الفترة. فكان اختيار الشعار الذي توافق عليه جميع المؤسسين ومازالت أسرة الأدباء والكتاب تفخر به لأكثر من نصف قرن من الزمن وهو «الكلمة من أجل الإنسان».

بدأ الدكتور الأنصاري يهتم بالجانب الثقافي والحضاري والاجتماعي للبحرين ومنطقة الخليج العربي ويرصد التحولات التي كان يعيشها لأنه المدخل السليم لفهم المجتمعات ودراسة احتمالات سلوكها وتطورها.

فأصدر كتابه القيم «لمحات من الخليج العربي» في ابريل عام ١٩٧٠ وهي دراسات في تاريخ الخليج العربي وثقافته ورجاله وفولكلوره الشعبي. وفي رأي المتواضع أن هذا الكتاب هو بداية اهتمام الدكتور الأنصاري بدراسة الجوانب الاجتماعية والفكرية للمجتمع الخليجي والتي تطورت بعد ذلك الى الاهتمام بالوطن العربي وتحولاته الفكرية والتي انطلق منها مشروعه الفكري والنهضوي.

وعلى الجانب الآخر كان هناك هاجس ما يمكن قراءته من خلال مقالات الدكتور الأنصاري التي كان ينشرها في الصحافة.. هاجس يتوارى خلف الكلمات والعبارات أبعد من مجرد النقد الأدبي أو الشأن الثقافي، بدأه بالاهتمام بالشئون السياسية، وهو بوابة جديدة على عالم أوسع من الكتابة النقدية، حيث الفضاء الرحب للتحليل والربط بين المعطيات والخروج بتصورات وسيناريوهات تقترب من العقل والفكر أكثر من اقترابها من الأدب، بدأها بالكتابة في الصحف والدوريات الخليجية والعربية. وفي رأي الشخصي أن مفتاح هذه البوابة كان دراسته للدكتوراه في مجال قابل للجدل واختلاف وجهات النظر والشروع في البحث عن أرضية مغايرة، حيث كان موضوع أطروحته للدكتوراه في عام ١٩٧٩ من الجامعة الأمريكية في بيروت هو «الفلسفة الإسلامية الحديثة والمعاصرة» حيث بدأ منها رحلة جديدة من الاشتغال على مشروع فكري خاص به يهتم بنقد الفكر والواقع العربي، فقام بتحليل المجتمعات العربية والإسلامية ودراسة الظواهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تسود المجتمعات العربية عبر كتابه «تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، ١٩٣٠-١٩٧٠»، الذي صدر في الكويت عام ١٩٨٠، ثم توالت الدراسات والبحوث في هذا الاتجاه الفكري والنقدي.

ويمكن تلخيص مشروع الدكتور الأنصاري في اتجاهين فكريين هما: نقد الفكر العربي ونشر في ذلك عدة كتب لعل أهمها «مساءلة الهزيمة: جديد الفكر العربي بين صدمة ١٩٦٧ ومنعطف الألفية»، ثم مشروع نقد الواقع العربي ولعل أهم المؤلفات التي نشرها عن هذا المشروع كتاب «تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القُطرية» وفي كلا المشروعين تميّز الدكتور الأنصاري بمنهج بحثي يعتمد على التحليل العلمي الرصين عميق الدلالات والاستشهادات، قوي الحجج والمقارنات، ما مكّن مشروعه من الانتشار على مستوى الوطن العربي وأثار جدلاً فكرياً واسعاً بين المؤيدين له والمعارضين من مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية.

إن الراحل الكبير والمفكر العربي الدكتور محمد جابر الانصاري هو رحلة طويلة من العمر امتدت الى أكثر من نصف قرن، رسمت خيوطها اشعاعاً ونوراً أدبياً وثقافياً وفكرياً، سافر من هذه الجزيرة المضيئة والساحرة البحرين الى كافة أرجاء الوطن العربي ليسهم مع غيره من المفكرين العرب في إضاءة جوانب الحياة الفكرية ويعطي إجابات مقنعة للعديد من الأسئلة الشائكة.. فوضع البحرين على خارطة المفكرين العرب المتطلعين الى تجديد المشروع النهضوي من خلال كتاباتهم في نقد الفكر العربي السائد.

رحمك الله رحمة واسعة وأسكنك فسيح جناته، وألهمنا جميعاً الصبر والسلوان.. فبرحيلك تفقد البحرين والعالم العربي رجلاً مثقفاً ومفكراً مميزاً أثرى بكتاباته جوانب كثيرة من حياتنا الأدبية والثقافية والفكرية.. فالمفكرون يرحلون، ولكن يبقى فكرهم حاضراً بيننا.

رئيس أسرة الأدباء والكتاب

أسرة الأدباء والكتاب تنعى الدكتور محمد الأنصاري

د. صفاء العلوي: لمست إعجاب المثقفين بفكره أثناء كتابتي لسيرته

نعت أسرة الأدباء والكتاب أول رئيس لها الدكتور محمد جابر الأنصاري عبر حساباتها الرسمية قائلة: «إنا لله وإنا إليه راجعون، ببالغ الأسى وعميق الحزن ينعى مجلس إدارة أسرة الأدباء والكتاب وأعضاء الأسرة وجميع منتسبيها المفكر الدكتور محمد جابر الأنصاري، من المؤسسين لأسرة الأدباء والكتاب وأول رئيس لها عام ١٩٦٩م، سائلين الله العلي القدير أن يتغمده بوافر رحمته ويسكنه فسيح جناته، وسيبقى الفقيد خالداً بعطائه في قلوبنا جميعًا».

نعت الدكتورة صفاء العلوي، الأمين العام لأسرة الأدباء والكتاب، الدكتور محمد جابر الأنصاري بقولها: «كان الدكتور الأنصاري مفكرًا وباحثًا وأديبًا وناقدًا، ليس فقط على مستوى مملكة البحرين، بل على مستوى الوطن العربي بأسره. وُلد في المحرق، مركز الثقافة والعلم، ودرس في مدرسة الهداية الخليفية، ثم في أعرق الجامعات، يُعد مدرسة فكرية متكاملة ومن أبرز المثقفين العرب الذين تناولوا قضايا الفكر والثقافة والمجتمع العربي برؤية نقدية شاملة. وذكرت أن الأنصاري يعد قامة ثقافية ومن مؤسسي أسرة الأدباء والكتاب وأول رئيس لها. بفقدانه، خسرت مملكة البحرين أحد رموزها الثقافية على المستويين المحلي والعربي».

وأضافت: «لقد اختتمتُ مؤلفاتي بكتابة سيرته، ومن خلال ذلك، التقيتُ بالمقربين منه، ولمستُ إعجاب المثقفين بفكره واحترامهم لقامته النيرة. برحيله، فقدت البحرين والأمة العربية قامة فكرية نيرة تركت بصمات واضحة في مسيرة الفكر والثقافة. نسأل الله أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته، وأن يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان».

د. صفاء العلوي.

الأدباء والمثقفون داخل وخارج البحرين ينعون المفكر الكبير

نعى رواد مواقع التواصل الاجتماعي البحريني والعربي الدكتور محمد جابر الأنصاري، الذي وافاه الأجل أمس الخميس، حيث نعت الدكتورة معصومة المطاوعة، أستاذ التربية المشارك في جامعة البحرين، أمين عام مركز عبدالرحمن كانو الثقافي، قائلة: «عظم الله أجر البحرين والفكر والثقافة بوفاة المغفور له أستاذنا القدير الدكتور محمد جابر الأنصاري، لقد فقدنا بوفاة الدكتور الأنصاري علامة بارزة في تاريخ وحاضر مملكة البحرين، فما قدمه الدكتور الأنصاري من دراسات وبحوث ومقالات كان لها تأثير بارز في تشكيل الحركة الثقافية والفكرية في مملكة البحرين والمنطقة، ولا يخفى على كل من عرف الدكتور الأنصاري عطاؤه الأكاديمي والبحثي ومواقفه الداعمة للطلبة والمثقفين واجتهاده الدائم بتقديم المساندة والتوجيه لما يخدم الأفراد والمؤسسات لتحقيق أهدافها الفكرية، ولا ننسى دوره في تأسيس أسرة الأدباء والكتاب ورئاسته لها، ودوره في تأسيس جائزة عيسى لخدمة الإنسانية، وغيرها من الاجتهادات التي يصعب حصرها، إضافة إلى ما حققته كتاباته الفكرية من تأثير في وجدان جميع من قرأ له، فقد كان أب الثقافة الروحي، وكنا نغرف من معين خبراته وأفكاره طوال السنوات التي مضت وسنظل، فما امتلكه الفقيد الأنصاري وما أورثه لنا سيظل علمًا وخلقًا وأدبًا تتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل، فعظم الله لنا الأجر وألهمنا وأهله ومحبيه جميعا الصبر والسلوان ونسأل الله أن يجعل مثواه الجنة، إنا لله وإنا اليه راجعون».

استذكر الدكتور أحمد عبدالملك أكاديمي وروائي قطري عبر حسابه الشخصي على مواقع التواصل الاجتماعي قائلاً: «فقدت الساحة الثقافية رمزا من رموز الأدب، هو الدكتور محمد جابر الأنصاري، مستشار ملك البحرين للشؤون الثقافية والعلمية، وهو صاحب قلم وفكر مستنير، وله العديد من المؤلفات الأدبية والفكرية، وساهم في مناصرة قضايا الرأي ورصانة الصحافة، رحمه الله واسكنه فسيح جناته».

ومن جانبه، استذكر عبدالغفار حسين كاتب اماراتي عبر حسابه الشخصي على مواقع التواصل الاجتماعي قائلاً: «حزنت لخبر رحيل الدكتور محمد جابر الأنصاري المفكر والكاتب والمعلم البحريني، وقد عرفت الأنصاري ومكانته الفكرية عن طريق صديقه المرحوم تريم عمران الشخصية الإماراتية المعروفة ومؤسس دار الخليج، وكان اللقاءات بيننا مكررة وعديدة في مناسبات مختلفة، رحم الله أستاذنا الكبير وأسكنه فسيح جناته، إنا لله وإنا إليه راجعون».

رحيل رائد الدراسات الاستشرافية المستقبلية في العالم العربي

برحيل المفكر البحريني الأستاذ الدكتور محمد جابر الأنصاري المستشار الثقافي لجلالة الملك المعظم يترجل عن المشهد الثقافي والفكري العربي أحد أهم الرموز التأسيسيّة لمشروع نقد الفكر العربيّ، وتجديد المشروع النهضوي بعد أن فقدت الساحة العربيّة قبل سنوات المفكر المغربيّ محمد عابد الجابري الذي يتقاطع مشروعه الفكري النقدي مع مشروع الأنصاري في إحداث تلك المساءلات النقدية الفلسفية الاستشرافيّة المستقبليّة لأسئلة النهضة العربية باكتشاف الذات ونقدها، وإن اختلفت المنهجيات بينهما في طبيعة المعالجات الخاصة بمدوّنات النصوص وتفكيكها. لقد عاد الأنصاري إلى التراث العربيّ الإسلاميّ، وعاد إلى تشخيص الواقع العربيّ في أبعاده الحضارية، والسياسيّة، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعيّة بحثًا عن الفكر العربيّ وصراع الأضداد بعد أن كتب عن تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية. ولقد كان سابقًا في الدراسات المستقبليّة في كتابه (العالم والعرب سنة ٢٠٠٠). ولا ننسى أن الفقيد الراحل كان من مؤسسي أسرة الأدباء والكتاب وكان أول رئيس لها، كما كانت له كتابات منهجية نقدية تناولت نتاج بعض أدباء البحرين المعاصرين. رحم الله الفقيد الراحل الذي لُقب بابن خلدون العصر الحديث، والذي أسس بمؤلفاتهَ الثرية مكتبة عربية مرجعية أصيلة في مجالها، وسيبقى إرثه التأسيسي مرجعًا أصيلاً للأجيال الحالية والمستقبليّة.

الدكتورة ضياء عبدالله الكعبي

بسم الله الرحمن الرحيم

«يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي»

(صدق الله العظيم)

رئيس وأعضاء مجلس الإدارة وأسرة التحرير وجميع العاملين في

أخبار الخليج

يتقدمون بأحر التعازي وعظيم المواساة إلى

جميع أفراد عائلة الأنصاري الكرام

في وفاة المغفور له بإذن الله تعالى

الدكتور محمد جابر الأنصاري

مستشار جلالة الملك للشؤون الثقافية والعلمية

سائلين المولى العلي القدير أن يتغمد الفقيد الغالي بواسع رحمته ورضوانه وأن يلهم الجميع الصبر والسلوان.

(إنا لله وإنا إليه راجعون)